

المشكلة الكبرى

إننا نستطيع ذلك ، هذا من جهة . ومن جهة أخرى فالأقطار الشقيقة إن استطاعت الاستغناء عن أبنائها المدرسين في الوقت الحاضر فإنها لن تستطيع الاستغناء عنهم في السنوات المقبلة ، وعلى الأخص إذا كان العدد كبيراً . كما لا يفوتنا أن نذكر أن التوفيق لم يكن حليف هؤلاء المدرسين المتدربين ، فمذ سنة ١٩٣٦ وهي أول سنة انتدب بها مجلس المعارف مدرسين من الأقطار الشقيقة إلى سنتنا هذه ، أي منذ خمسة عشر سنة ونحن نغير ونبدل في هؤلاء المدرسين ، فسنه نجلب مدرسين من مصر وسنة من سوريا وسنة من فلسطين وسنة خليطاً من هؤلاء وهؤلاء مما يدل دلالة واضحة على أن هؤلاء المدرسين لم يكونوا موفقين في عملهم ، وليس معنى هذا - كما قلت في مقال سابق - إنني أشك في مقدرة هؤلاء المدرسين أو أظعن في كفاءتهم ، بيد أن ذلك كما أظن راجع إلى اختلاف البيئة وتضارب المناهج واختلاف الأوضاع من بلد لآخر فمما لا شك فيه أن المدرس المصري يستطيع أن ينتج نتائجاً طيباً في مصر وكذلك المدرس السوري والفلسطيني في حين أن نفس هؤلاء المدرسين حين يتدربون للعمل في الكويت أو غيرها لا ينتجون كنتائجهم كل في بلده » بغض النظر عن توفيق بعض الأفراد ، فالعبرة بالمجموع » .

ومجمل القول أننا قصرنا في التفكير في مشكلة المدرسين هذه تقصيراً جعلها تكبر وتتعد ، فقد كان يجب أن نحسب حساب التطور في التعليم ، والتضخم في عدد التلاميذ منذ السنين الأولى ، أما الآن فقد وقمنا فعلاً في المشكلة فيجب علينا إذن أن نشجذ الهمم للبحث عن أحسن الحلول في الوقت الحاضر . ويقيناً أن أحسن الحلول وأنجعها هو إرسال البعثات إلى الأقطار الشقيقة لدراسة التربية وأصول التدريس وعلم النفس حتى نوفر العدد الكافي لسد هذا النقص المشين .

لا يختلف اثنان في أن مجلس المعارف قد اهتم ما وسعه الاهتمام بإنشاء المدارس على اختلاف أنواعها ، وتوفير الكتب المدرسية وأدوات التعليم توفيراً يشكر عليه كل الشكر ويحمد عليه كل الحمد ، وكان مجلس المعارف ولا يزال والحق يقال ينفق بسخاء وكرم حائماً في تنميق مدارسه وتكليف كبار المهندسين في وضع تصميمها وهندستها .

كل هذا جميل وحسن فنحن في فترة يسر ورخاء ، بل لا أغالي إذا قلت إننا في فترة تحمة في المال فيجب أن تصرف في وجوه حيوية كإنشاء المدارس والمستوصفات والمستشفيات ورصف الطرق ، لأننا لا نضمن دوام مثل هذه الفترة ، فالخزون في أراضينا من البترول لابد أن ينفذ إن عاجلاً أو آجلاً على حد قول الخبراء .

أجل لقد أحسن مجلس المعارف فيما أنشأ من مدارس ، وأجاد فيما وفر من أدوات وكتب مدرسية ، ولكن هناك ناحية لا أظن مجلس المعارف قد وفاقها حقها ومشكلة لا أحسب مجلس المعارف قد درسها واهتم فيها اهتماماً يتناسب وتعقيدها وأهميتها ، تلك المشكلة هي مشكلة توفير المدرسين التي يزيد بها الزمن تعقيداً على تعقيد واضطراباً على اضطراب .

هل سمعت أيها القارئ العزيز بالمثل الكويتي القائل : « زهّب الدواء قبل الفلعة » إن هذا المثل العامي لينطبق تمام الانطباق على وضع التعليم الحالي في الكويت ، فنحن قد جهزنا المدارس وأقمناها على أحدث طراز دون أن نحسب للمدرسين الذين سيقومون بهمة التدريس فيها ، بالضبط كمن يجهز الدواء قبل الجرح كما يقول المثل الكويتي السابق وقد يقول قائل إننا نستطيع أن نعتمد على المدرسين الذين نستعين بهم من الأقطار الشقيقة ، وردى على ذلك تثبته التجربة ويعضده البرهان ، فنحن نستطيع الاعتماد على المدرسين من الأقطار الشقيقة إذا كان العدد الناقص قليلاً أما أن يكون العدد قد جاوز المائة مثلاً . فمن الخطأ أن نقول

لماذا لا ترسل إدارة المعارف بعثة إلى المدرسة الريفية في بغداد كما أرسلت لها من قبل ، إن أعضاء هذه البعثة قد نجحوا وأفادوا الكويت كثيراً . فمنهم الآن نظار لمدارسنا الابتدائية ومدرسون ناجحون . إن عشرة طلاب من خريجي الابتدائية يرسلون إلى المدرسة الريفية كل سنة لن يكلفوا المعارف كثيراً بل سيفيدوها كثيراً جداً ، والتجربة خير برهان فنحن قد جربنا هذه المدرسة فيجب أن نستمر مادامت التجربة قد نجحت .

ثم لماذا لا ترسل إدارة المعارف بعثة أخرى مماثلة إلى مصر ، وأخرى إلى بيروت ، على شرط أن يتخصصوا في دراسة التربة وأصول التدريس لا أن يترك لهم الاختيار .

لأشك أننا إذا طبقنا هذه الفكرة ونفذناها فلن تمضي أربع سنوات أو خمس إلا وقد توفر لنا عدد كبير من المدرسين الفنيين يسدون ذلك النقص ويحلون هذه المشكلة . لقد شعرت البلاد العربية هذا اليوم بضرورة التعليم ، لهذا بذلت كل الجهود لكي تصل ببلادها إلى المستوى اللائق بها بين الأمم المتحضرة ، فإن استغنت اليوم عن أبنائها

المدرسين فلن تستغنى عنهم غداً ، فهل معنى هذا أن نعلق هذه المدارس المنشأة ونسرح مافيها من تلاميذ إلى الشوارع أم نضع فيها مدرسين ليس لهم المؤهلات التي تمكنهم من القيام بهذه المهمة الشاقة ؟

إن التدريس رسالة كريمة فالمدرس مثال يحتذى وهو الذي على يديه يتوقف مصير أجيال هذا البلد الكريم ، لهذا وجب أن يكون هذا المدرس متين الأخلاق ، طيب السمعة ورحم الله أمير الشعراء حين قال :

قم للمعلم وفه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا
أرأيت أشرف أو أجل من الذي
يبنى وينشئ أنفساً وعقولا

صدق والله شوقي فيما قال ، فليس أشرف من الذي يبنى عقولا ، ولا أجل من الذي ينشئ أنفساً ، لذلك وجب علينا الاهتمام كل الاهتمام بإيجاد المدرس الصالح والمربي القدير لنصل إلى الهدف الذي نرمى إليه والوسيلة التي تمكننا من الوصول إلى الهدف والغاية المنشودة ؟
جاسم عبد العزيز القطامي

مطابع
دار
الكتاب العربي
محمد المنيأوي
شامع فاروق ٢، ٣ حارة باغوص بالقاهرة
تليفون: ٥٠٩٣٨-٤٣١٧٤